الدرس الثامن عشر

معرفة خلفيّة العهد القديم تمهيداً لدراسة الأسفار النبويّة

أوّلا: مقدّمة

من أجل دراسة أنبياء العهد القديم، لا يستطيع المرء أن يشرع في الدراسة مباشرة وهو يتأمّل أن يفهم المادة التي يدرسها تماما. فلا ينبغي أن يغيب عن ذهن الدارس أن أمّة إسرائيل لها تاريخ يربو عن 1200 سنة يسبق أوّل من كتبوا من الأنبياء. ولم يكن التاريخ يسير على غير هُدى خلال ذلك الوقت؛ بل كان الله يعمل على تسيير التاريخ وفقاً لخطّة مُحكمة ودقيقة. علاوة على ذلك، في كُلّ خطوة على طريق تاريخ البشريّة، كان الله يتجاوب مع خطيّة الإنسان ومحاولاته لتعطيل مقاصده وذلك عن طريق أعمال مقصودة تماما. لكن لماذا قام الله بإيجاد الأنبياء الكتبة في القرن التاسع قبل الميلاد؟ إنّ الإجابة عن هذا السؤال تتطلّب مُراجعة متأنّية للعهد القديم قبل دخول الأنبياء إلى مسرح الأحداث.

ثانيا: نظرة تاريخيّة بحسب التسلسل الزمنيّ:

سوف يُساعدك الجدول التالي على التعرُّف على الفترات الرئيسيّة والهامّة من تاريخ العهد القديم:

الفترات الهامّة من تاريخ العهد القديم

عصر الآباء		2091 – 1805	ق.م
التغرُّب		1876 – 1446	ق.م
فترة البرّية		1446 – 1406	ق.م
الفتح		1406 – 1051	ق.م
المملكة	المملكة المتحدة	1051 – 931	ق.م
	المملكة المنقسمة	931 – 722	ق.م
	مملكة يهوذا لوحدها	722 – 605	ق.م
السبي في بابل		605 – 538	ق.م
فترة ما بعد السبي		538 – 430	ق.م
فترة ما بين العهدين		430 – 5	ق.م

يعمل التاريخ القديم الواقع قبل إبراهيم على إعداد المسرح وتجهيزه لدعوة الله لإبراهيم في تكوين 12. وهذا يتركنا مع فترة تقرب من الألفيّ سنة منذ إبراهيم ولغاية ولادة المسيح. ومع ذلك، فإننا لا نجد الأنبياء الكتبة موزّعين بصورة منتظمة على امتداد هذه الفترة الزمنيّة، بل يتركّز وجودهم في الجزء الأخير من العهد القديم ما بين سنة 850 ق.م إلى 430 ق.م. وإن المخطّط المعنون "الأحداث الهامّة في العهد القديم" (انظر الصفحة رقم 3 من هذه الكُرّاسة) يُساعد في تصوير علاقة الأنبياء بأبرز وأهمّ الأحداث التاريخيّة في هذه الفترة. وبالتالي، فإنّ الأنبياء الكتبة موجودون في فترة لا تتجاوز الأربعمائة سنة فقط من ضمن الألفيّ سنة الممتدّة من إبراهيم إلى ولادة المسيح. ويجب أن تدفعنا هذه الملاحظة إلى أن نطرح السؤال "لماذا؟" لماذا يتركّز وجود هؤلاء الأنبياء في هذه الفترة الزمنيّة من التاريخ؟ إذا نظرنا إلى مخطّط "الأحداث الهامّة" يُمكننا أن نرى بأنّ هنالك علاقة متبادلة قويّة ما بين سبي شعب الربّ من الأرض وما بين خدمات الأنبياء. فالمملكة الشماليّة كانت الأولى في ذهابها إلى السبي سنة 722 ق.م.، وقد أقام الله أنبياء ليتحدّثوا إلى شعبه في فترة ما قبل السبي وأثنائها. وحينَ اقترب الوقت المحدّد لسبي المملكة الجنوبيّة (يهوذا) إلى بابل سنة 586 ق.م.، أقام الله مرّة أخرى أنبياء ليتحدّثوا إلى شعبه. وفي هذه الحالة، قام بعض الأنبياء بالخدمة ما قبل السبي البابليّ، والبعض الآخر أثناءه، والبعض الآخر في الفترة التي أعقبته. وقد قام الأنبياء بمواجهة الأمّة بخطيّتها، وتحذير الناس من الدينونة التي أصبحت وشيكة، وتوضيح كيف أن برنامج عهد الرب سيتحقّق في المستقبل. وبالتالي، ينبغي علينا أن نفهم تأديب الربّ لشعبه عن طريق السبي إن أردنا أن نفهم رسائل الأنبياء وخدماتهم.

ثالثا: تطوّرات هامة سبقت مجيء الأنبياء

إن تمكّنا من فهم دور الأنبياء في ضوء سبي الشعب من الأرض، نكون بحاجة لتدعيم هذا الفهم ومحاولة فهم التطوّرات التي أدّت إلى السبي، بما في ذلك خطط الله وعهوده التي أعلن عنها .

أ. خطّة الله الأصليّة

خطّة الله الأصليّة للبشر مُعلنة في بداية سفر التكوين. وإذا نظرنا بصورة عامّة إلى سفر التكوين، يُمكننا أن نرى بسهولة الأشياء التي يُركّز عليها:

من الخلق إلى الشتات في بابل	إبراهيم ونسله
الأصحاحات 1—11	الأصحاحات 12--50

من الواضح (وفقا لطريقة تقسيم المادّة) أنّ سفر التكوين مهتمّ بشكل أساسيّ بدعوة الله لإبراهيم لكي يقيم أمّة جديدة. أمّا الأصحاحات 1-11 فإنّها تبيّن الحاجة للقيام بذلك. فقد أقام الله خليقة رائعة، لكن وللأسف الشديد، حدث خطأ ما . دعونا نُلخّص في البداية ما قدّمه الله للرجل والمرأة في خطّة الخلق الرئيسيّة، وكيف تأثّرت جميع هذه الأشياء بالخطيّة. لكن في كُلّ حالة، أصبحت إعادة الأمور إلى سابق عهدها مُمكنة بيسوع المسيح. لقد قدّم الله أربعة أشياء لأوّل زوجين:

1. خُلقا على صورة الله

حينما خلق الله أوّل زوجين، خلقهما على صورته. وهو لم يفعل ذلك مع الحيوانات، لكن مع الإنسان فقط دون سواه. وقد يشتمل هذا الأمر على عدّة جوانب، لكن "صورة الله" تشتمل بالتأكيد على أخلاق الإنسان وصفة البر (فقد خُلق الإنسان كاملا أخلاقيّا) . ومن ناحية أخرى، عملت الخطيّة على إفساد صورة الإنسان. وفي المسيح، فإننا نمرّ بمرحلة استعادة هذه الصورة. وطالما أننا نعيش على هذه الأرض، فسوف نظلّ خطاة (أي أنّه ستبقى طبيعة الخطيّة موجودة فينا)، لكنّنا تغيّرنا (فصرنا على صورة المسيح) . وتتحدّث الآية كولوسي 10:3 عن ارتداء أو لبس "الجديد الذي

يتجدّد لبلوغ تمام المعرفة وفقا لصورة خالقه" (ترجمة كتاب الحياة). وهذه العمليّة ستستمر إلى أن نرى المسيح وجها لوجه حيث سنتغيّر بالكامل: " . . . ولكن نعلم أنّه إذا أُظهِر نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (1يوحنّا 2:3).

2. الشركة مع الله

في جنة عدن، كان أوّل زوجين يتمتّعان بفرح يتعذّر وصفه بالكلمات، وكان مصدر ذلك الفرح هو مقدرتهما على الشركة مع الله. ورغم أنّه ليست لدينا شركة مباشرة مع الله الآن، إلاّ أنّه بإمكاننا أن نختبر تلك الشركة حينما نسير في توافق معه. " . . . وأمّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح . . . إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض، ودم يسوع المسيح ابنه يُطهرنا من كُلّ خطيّة" (1 يوحنّا 3-7). وفي الخليقة الجديدة سيكون لدينا شركة مباشرة دون معوّقات مع الله ("وهُم سينظرون وجهه" – رؤيا 4:22).

3. بركة الرب

بعد أن خلق الله أوّل زوجين، تقول الآية تكوين 28:1 "وباركهم الله". فمنذ البداية، خُلِق الإنسان للتمتّع ببركة الله. وبالطبع، فإنّ الخطيّة قد جلبت اللعنة على الإنسان وحرمته من متعة البركة هذه. لكن هذه "البركة" أصبحتْ فيما بعدُ من الأفكار الرئيسيّة في الكتاب المقدّس. فبدءا من تكوين 3 فصاعدا، نرى الله يعمل من أجل إعادة الإنسان لحالة البركة الأولى. فقد كان قصد الله من دعوته لإبراهيم هو أن يشرع في البرنامج الذي سيتيح للإنسان أن يستعيد "البركة". ورغم أن بركة الله تمتد لتشمل جميع الناس المفديّين عبر الأجيال، إلاّ أنّها تحقّقت بصورة رئيسيّة في المسيح. تقول الآية أفسس 3:1 "مُبارك الله أبو ربّنا يسوع المسيح الذي باركنا بكلّ بركة روحيّة في السماويّات في المسيح".

4. التسلُّط

بما أن الله هو وحده الخالق، فهو الوحيد الذي يمتلك حق السيادة على خليقته. لكن يا للعجب! فقد اختار الله أن يُشرك الإنسان في ممارسة السيادة والتسلُّط (تكوين 26:1 – "فيتسلّطون"؛ قارن مزمور 8). وبسبب الخطيّة، فقد الإنسان الكثير من المزايا الممنوحة له، ولهذا فإننا لا نرى جميع الأشياء خاضعة للإنسان حاليّا (عبرانيّين 8:2). ورغم ذلك، فإنّ بإمكان الإنسان أن يستعيد هذه السيادة، لكن فقط في المسيح. علاوة على ذلك، فإنّ هذا الحق سيُعطى عند مجيء الرب للأشخاص الذين احتملوا بأمانة وخدموه بإخلاص (2تيموثاوس 12:2؛ رؤيا 25:2-27؛ قارن رؤيا 9:5-10؛ 4:20-6).

ب. عصر الآباء (2091-1805 ق.م.)

بعد سرد قصّة الخلق، تسرد بقيّة الأصحاحات 1-11 من سفر التكوين القصة المحزنة عن كيف عملت الخطيّة على إفساد خطّة الله.[1] وبمرور الوقت، عملت الخطيّة على إفساد المجتمع. ورغم البداية الجديدة مع نوح، حالما نصل إلى تكوين 11، فإنّ أمم الأرض تتشتّت وهي في حالة يأس في جميع بقاع الأرض مفوّتة على نفسها التمتّع ببركة الله. وعوضا عن عبادة الله الخالق الوحيد، تحوّلت الأمم إلى عبادة الأصنام والآلهة الزائفة.

1. دعوة إبراهيم (تكوين 12)

طالما أن الأمم مستمرّة في عبادة الأوثان وظلامها الروحيّ، فلن "يرجعوا" إلى بركة الله. لذلك، قضت خطّة الله أن يخلق أمّة جديدة تعبده، وتكون في نهاية المطاف قادرة على أن تهدي بقيّة شعوب العالم إلى الحق. وهذا يوضّح ويفسّر مدى أهميّة دعوة الله لإبراهيم في تكوين 12 . . . إنها محاولة من الله لبدء أمّة جديدة. وتصبح الآيات تكوين 12:1-3 من أهم الكلمات الموجودة في العهد القديم بأكمله:

"وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمّة عظيمة، وأباركك وأعظِّم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، **وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض.**"

لاحظ التشديد والتركيز على "البركة" في هذه الآيات. فهذه الأمّة الجديدة موجودة بهدف مساعدة جميع "القبائل" (جميع فئات الناس) على استعادة بركة الله. ومن المهمّ للغاية أن ننتبه إلى أن اختيار الله لإسرائيل لم يكن موضوع مُحاباة أو تمييز (وكأن الله كان يعتني ويهتم بهذه الأمّة دون سواها). فمنذ البداية، يؤكّد الله بأنّه يهتم بكُلّ أمّة و "عائلة" على وجه الأرض، وبأنه يريد أن يباركهم جميعا. إنّه إله عالمي، وهذا هو الأساس الوطيد للإرساليّات المذكورة في تكوين 12!

2. العهد الإبراهيمي (تكوين 15)

بما أنّ الله لا يُمكنه أن يكذب، فإنّ وعوده صادقة دائما. ومع ذلك، ومن أجل إبراهيم نفسه، فإنّ هذه الوعود التي قطعها الرب لإبراهيم تمّت المصادقة عليها بواسطة طقوس العهد في تكوين 15. وينصبّ التركيز في هذا الأصحاح على النسل والأرض، لأنّه (إذا كان إبراهيم سيصبح أمّة تعمل كقناة لتوصيل بركة الرب) يجب أن يكون له ذريّة وأرض يُمكن

[1] سُرعان ما تنقشع الكآبة المخيّمة على هذه الأصحاحات حينما نقرأ وعد الربّ في تكوين 15:3 بأن "نسل المرأة" سينتصر في نهاية المطاف على الشيطان. وهذا وعد مسيّانيّ بأنّ الربّ يسوع المسيح (المولود إنساناً من نسل حوّاء) سينتصر في نهاية المطاف على إبليس الذي أغرق البشريّة في الخطيّة واللعنة.

للأمّة أن تعمل فيها.[2] وقد اشتمل الاحتفال بالعهد في تكوين 15 على شق الحيوانات من الوسط لأنّه (بحسب العادات في الشرق الأدنى القديم) فإنّ الطرفين اللذين يدخلان في عهد يُلزمان نفسيهما بشروط العهد بأنّ يسيرا في وسط الذبائح المشقوقة إلى نصفين. وتكمن أهميّة الحُلُم في تكوين 15 في أنّه تمّ منع إبراهيم بطريقة خارقة للطبيعة من السير في وسط أجساد الذبائح. وعوضا عن ذلك، ألزم الرب نفسه (وهو يُرمز إليه هنا بتنور دخان ومصباح نار) بالحفاظ على العهد. وبالتالي، فإنّ مسئوليّة إتمام العهد تقع على الله وليس على إبراهيم. وإنّ وعد الله بالأرض لإسرائيل مشروط بأمانة الله نفسه، وليس بأمانة إبراهيم أو نسله. ويمكننا أن نصف هذا العهد بأنّه عهد أحاديّ الجانب وغير مشروط. وعبر تاريخ إسرائيل، قد يستمر الله في تأديب إسرائيل على عصيانها، لكنّه لن يسحب وعوده التي قطعها في عهده مع إبراهيم بأنّ يعطي أمّة إسرائيل الأرض وأن يستخدمها كقناة لتوصيل بركته لجميع أمم العالم.[3]

[لأن الأمة كان لها الوعد بالأرض لا يعني بالضرورة أن الأمة دائماً لها الحق في الأرض. عندما تكون الأمة في حالة عصيان، سوف تؤدب من قِبَل الله، وحقها بالأرض ممكن أن يُزال أو يُحَدد. . على الأقل وقتياً].

3. الرجاء المسيّاني من خلال سبط يهوذا

إنّ تاريخ الأمّة المبكّر فاسد منذ البداية. فخلال جيلين، وجدت ذريّة إبراهيم نفسها خارج الأرض وبأنّهم يعيشون في مصر. فإذا كانت الأرض مهمّة للغاية، فما الذي يفعلونه في مصر؟ لقد كان هذا في الواقع تأديب الرب لهم لأنّهم أهانوا

---

[2] من أجل تكوين أمّة، ينبغي توفُّر ثلاثة عناصر على الأقل: (1) شعب يؤلّف الأمّة؛ (2) أرض يسكنون فيها؛ (3) دستور يربطهم سويًا. وسوف يتبيّن لنا من خلال المادة التي سنقرأها في الأسفار من تكوين إلى يشوع كيف تحقّقت كُلّ من هذه العناصر. فحالما تحرّر الأمّة من عبوديتها في مصر يصبح هنالك شعب كبير العدد. وحينما يصلون إلى جبل سيناء (خروج 19) يصبح لديهم دستور . . . الشريعة الموسويّة (المعطاة لهم من الله نفسه). وحينما يغزون الأرض بقيادة يشوع يمتلكون أرض الموعد.

[3] يعترض البعض قائلين بأنّ الله لم يعد ملزما بوعد الأرض بحسب العهد الإبراهيميّ، سواء لأنّه قام بتنفيذ وعده (انظر يشوع 43:21؛ 14:23) أو لأنّ عدم أمانة إسرائيل قد نقضت وعود العهد. للاطّلاع على دفاع عن الطبيعة المُلزمة لوعود الأرض، اقرأ مقال "جيفري ل. تاونسيند" بعنوان: "Fulfillment of the Land Promise in the Old Testament"، Bibliotheca Sacra 142-568 (Oct-Dec 1985): 320-337. ورغم التأكيدات الواردة في سفر يشوع بأنّ الله كان أمينا لوعده، فإنّ الآية 12:24 تبيّن بأنه كان هنالك أمم أخرى بقيت بين شعب إسرائيل (قارن 16:11–17؛ 7:12؛ 1:13–6). كذلك، فإنّ العبارة الواردة في 1ملوك 65:8 خلال فترة حُكم الملك سليمان لا تشير إلى التحقيق الكامل لوعد الأرض لشعب إسرائيل. فلا يبدو بأنّ فلسطين كانت خاضعة بشكل مباشر لحُكم الملك سليمان (لاحظ 1ملوك 17:4–21؛ قارن 2أخبار 26:9). لاحظ بأنّه حين يبدأ العهد الجديد نرى وعود الرب لإبراهيم ما تزال قائمة (لوقا 72:1–75).

اسم الرب القدّوس: فقد اختلطوا بالكنعانيّين وتزوّجوا من نسائهم، وكانوا يقتلون دون رحمة سعيا للانتقام، ولم يتمكّنوا من التعايش مع بعضهم بعضا (حيث كان الأخوة يتآمرون ضد بعضهم البعض).

وعلى النقيض من عدم أمانة الأمّة، يُمكننا أن نرى بوضوح يد الرب الرحيمة وهي تعمل. ففي زمن يوسف، يُمكن للأمّة أن تتعلّم بأنّ الله قادر على إقامة مُخلِّص من وسطهم. فرغم أنّهم كانوا يغارون من يوسف وحاولوا قتله، إلاّ أنّه أصبح مُحرّرهم . . . وهذا مثال على ما سيعمله الله من خلال المسيح. علاوة على ذلك، يُمكننا أن نرى بوضوح أنّ الله يُضيّق نطاق البركة ويحصرها: نوح، سام، إبراهيم، إسحق، يعقوب، يهوذا. وفي النهاية، فإنّ "المُحرِّر" الذي ستأتي البركة من خلاله يجب أن يخرج من سبط يهوذا. وقد سبق التنبّؤ عن تفوّق وسموّ سبط يهوذا عن بقية الأسباط في تكوين 49:8–12. وتقول الترجمة الدوليّة الجديدة (NIV) للآية 10: "لا يزول صولجان المُلْك من يهوذا ولا مشترع من صُلْبه حتى يأتي شيلوه (من له الأمر) فتُطيعه الشعوب". فهنالك شخص من سبط يهوذا لن يخرج كملك فحسب في يوم من الأيام، بل وأيضا ستخضع له بقيّة شعوب العالم. وحينما يأتي هذا الملك، سوف تتبارك به جميع الشعوب الباقية بحسب العهد الإبراهيميّ. و يتحقّق هذا الوعد المذكور في تكوين 49:10 في يسوع المسيح الذي خرج من سبط يهوذا.

ج. فترة التيهان في البريّة (1446–1406 قبل الميلاد)

1. العهد الموسويّ على جبل سيناء (خروج 19)

بعد تحرُّر العبرانيّين من نير العبوديّة في مصر (إذ أصبحوا الآن شعبا مفديّا!)، وصلوا إلى جبل سيناء. ويُسجِّل لنا الوحي هذا المشهد الهام في خروج 19. ومع أنّهم ما زالوا يخضعون للعهد الإبراهيميّ (قناة الله لتوصيل البركة)، يقترح الرب بأنّ يجعلهم شعبا خاصّا له من الكهنة:

"فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصّة من بين جميع الشعوب فإنّ لي كُلّ الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمّة مقدّسة".

ويجب النظر إلى هذه الدعوة دون تجاهل الوجه الآخر الذي يُمثّل الأمم الأخرى الوثنيّة. فقصد الله هو أنّ تقف إسرائيل بين الله وشعوب العالم بصفة كهنوتيّة. كانت إسرائيل ستصبح أمّة مقدّسة . . . "كاهن" بالنسبة للأمم الأخرى. وكان ينبغي عليها أن تُعلِّم الأمم الأخرى من هو الإله الحقيقيّ وتُعرّفها على طُرقه. وحيث أنّ هذا العرض المقدّم لإسرائيل كان

امتيازا عظيما، فقد كان ينبغي على الأمّة أن توافق على حفظ متطلّبات وشروط عهد الرب. وهذا عهد مختلف عن العهد المقطوع مع إبراهيم؛ فهذا هو العهد الموسويّ (الذي يُعرف أيضا بـ "الناموس"). وهو لا يشمل الوصايا العشر فحسب، بل ويشمل جميع الشرائع الأخرى الوارد ذكرها في سفريّ "خروج" و "لاويّين". وخلافا للعهد الإبراهيمي الذي لم يكن مشروطا، فإنّ هذا العهد مشروط؛ بمعنى أنّه كان مشروطا بطاعة الشعب ("إن أطعتم .... فسوف ..."). وقد وافق الشعب على حفظ العهد الموسويّ (خروج 19:8)، رغم أنّهم أخفقوا إلى حدّ كبير في تقدير مقدرتهم على القيام بذلك. ورغم أن الشرائع كانت جيّدة وقويمة، إلاّ أن العهد الموسويّ لم يقدّم أيّ شيء من شأنه أن يُساعدهم على حفظ الوصايا. ويجدر بنا التنويه هُنا إلى أنّ العهد الموسويّ لم يحلّ محلّ العهد الإبراهيميّ. فالعهد الموسويّ وُضِع إلى جانب العهد الإبراهيميّ الذي كان قائما. علاوة على ذلك، فإنّ العهد الموسويّ سيكون عهدا مؤقّتا، في حين أنّ العهد الإبراهيميّ هو عهد أبديّ. فالعهد الموسويّ سيكون نافذ المفعول فقط إلى أن يحين الوقت الذي سيقوم فيه الله باستبداله بعهد أفضل (سيقوم يسوع بذلك!).

وحتّى أنّ اليوم الذي تم تخصيصه لقبول العهد بصورة رسميّة كان يوما يُنذر بالسوء (انظر خروج 19:16–25). فقد نزل الله على الجبل برعود، وبروق، وسحاب ثقيل إلى درجة أن كُل الشعب ارتعد. وتشير فرادة الحادثة إلى أنّ الله هو إله قدّوس والى أنّه ينظر إلى مطالبه القويمة نظرة جدّية. وهذا العهد (مع مطلب الطاعة الذي يشتمل عليه) لم يكن بالطبع "دعوة مفعمة بالدفء والحنان". وهذا يُشدّد على طبيعة الدينونة التي يصطبغ بها هذا العهد، وبالتالي فهو يوحي بالحاجة إلى عهد مقام على أساس النعمة والرحمة (قارن عبرانيّين 12:18–24). وحينما تم إقرار العهد الموسويّ، كان لا بُدّ من سفك الدم (خروج 24:1–8). وبما أنّه قد تمّ تدشين هذا العهد بدم حيوانات، فلا بُدّ أنّه يتمتّع بمكانة أدنى من العهد المُدشَّن بدم ابن الله الوحيد (كما يكشف التاريخ لاحقا).

2. مبدأ البركات واللعنات (تثنية)

كان العهد الموسويّ مطلبا يصعب العيش بمقتضاه. فحتّى الجيل الأوّل الذي تلقّى العهد شعر بأنّه خاضع لنظام صارم. وقد قادهم تمرّدهم في "قادش برنيع" (عدد 14) إلى حتفهم في البريّة. وحينما كبر الجيل الجديد التالي، سمح الرب لهم بدخول الأرض وامتلاكها. لكن قبل حدوث ذلك، كانت هنالك بعض الإيضاحات المُحدّدة:

أ. حتميّة السبي والعودة منه (تثنية 2:25–31)

رغم أن الله سيعطي هذا الجيل الثاني الفرصة لدخول الأرض، إلاّ أنّهم سيتحمّلون مسئوليّة الحفاظ على مطالب العهد. وبمجيء الأجيال القادمة سيخفقون في التقيّد بهذه المطالب مما سيؤدّي إلى سبيهم من الأرض. لكن "في آخر الأيام" سيرجعون (يتوبون) ويلتمسون الرب. لكن هذا لن يحدث قبل أن يمرّوا بفترة ضيق عظيمة [بالمناسبة، هذه النبوّة لم تتحقّق بعد!]. وتؤكّد الآية 31 بأنّ الله سيبقى على عهده مع هذه الأمّة (رغم عدم استحقاقهم!) وذلك بسبب العهد الإبراهيميّ. ورغم أنّه يؤدّبهم، إلاّ أنّه لن يقضي عليهم.

ب. بالبركات واللعنات (تثنية 28–29)

إحدى أهمّ الفقرات الضروريّة لفهم الأسفار النبويّة موجودة في تثنية 28–30. فالأصحاحان 28–29 يُفصّلان المبادئ التي سيتعامل الله بموجبها مع الشعب فور دخولهم الأرض. والمبدأ بسيط: سوف يُباركهم إن هُم أطاعوه (28:1–14)، لكنّه سيرسل اللعنات، أي سيؤدّبهم، إن عصوه (28:15 وما يليها من آيات). وسوف تكون "اللعنات" متناسبة مع عصيانهم؛ فسوف تحلّ عليهم لعنات خفيفة بسبب عصيانهم للأمور الثانويّة (مثل حبس المطر، 28:23–24)، في حين ستحلّ عليهم لعنات قاسية إن هُم عصوه بشدّة أو لفترات طويلة (مثل الغزوات الخارجيّة والهزيمة العسكريّة، 28:25). كما أنّ إخفاقهم في التجاوب بصورة صحيحة عن طريق التوبة يُمكن أن يؤدّي إلى قلعهم من الأرض بشكلٍ كاملٍ (28:58–65). وكما توضّح تثنية 29:14–15، فإنّ هذه المبادئ ستنطبق على الأجيال القادمة أيضا. وهذا يوضّح سبب إشارة الأنبياء بصورة دائمة إلى هذه "اللعنات" من الرب. فقد كانت تلك اللعنات بمثابة صفعات لتحذير الأمّة وتنبيهها قبل أن يحلّ عليهم القصاص الشديد مثل السبي.

ج. خطّة استعادة الأمّة (تثنية 30)

كان بإمكان الله، بمقتضى علمه المسبق، أن يرى بأنّ الأمّة ستتعرض للسبي من الأرض بسبب وثنيتها وعدم طاعتها. لكن بمقتضى عطفه والتزامه بالعهد الإبراهيميّ، فإنّ لديه خطّة لاستعادة الأمّة إليه. وهذه الخطّة مذكورة في تثنية 30:1–10. فإنّ رجعوا للرب وأطاعوه فسوف يعيد لمّ شملهم من بين الأمم التي تمّ سبيهم إليها ويعيد إليهم ما فقدوه. وفي النهاية، سوف يعطيهم "قلبا مختونا" لكي يحبّوا الرب ويطيعوه. وهذا يشير إلى التغيّر القلبيّ الحقيقيّ . . . الذي سيُحدثه الرب . . . والذي سيؤدّي إلى الطاعة الحقيقيّة للرب. وهذا شيء لم يوفّره العهد الموسويّ على الإطلاق، لكن هنالك عهد جديد أفضل بيسوع المسيح سيُحقِّق ذلك.

د. الاستيلاء على الأرض والثيوقراطيّة (1406–1051 ق.م.)

1. بداية حسنة (يشوع)

عقب دخول الأرض ودحر الكنعانيّين، أخذ الشعب العهد الموسويّ على محمل الجدّ. ورغم أن يشوع حذّرهم من الفشل المحتمل، إلاّ أنّهم أصرّوا على أنّهم "سيعبدون الربّ ويسمعون صوته" (يشوع 24:19–24). وبالتالي، فقد عملوا عهداً في "شكيم" وأعادوا تأكيد التزامهم بالشريعة (يشوع 24:25–28). وقد دوّن يشوع هذا الكلام في كتاب شريعة الله ونصب حجرا كبيرا لتذكير الشعب بعهده مع الربّ. وهذا الحجر يقف شاهدا للأجيال القادمة على أنّ هذا الشعب قد وافق على إطاعة الشريعة (وعلى أن يتحمّل العواقب الناجمة عن إخفاقه في القيام بذلك). وفي الآيات التي يخبرنا بها الكتاب المقدّس عن موت يشوع نقرأ: "وعبد إسرائيل الربّ كُلّ أيام يشوع وكُل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع والذين عرفوا كُلّ عمل الرب الذي عمله إسرائيل" (يشوع 24:31).

2. الإخفاق المتكرّر (قضاة)

أخفقت الأجيال التي جاءت بعد يشوع بصورة متكرّرة؛ وهذه هي رسالة سفر القضاة. فيبدو أنّهم باتوا يدورون في دائرة تلو الأخرى من دوائر الخطيّة، والتأديب (خاصّة عن طريق الغزاة الأجانب)، ثم يتوبون، ويُعطى لهم "قاض" (أي مُحرِّر) من قِبَل الربّ. لكن مع مرور الوقت، أصبحت الشقوق والتصدّعات

تظهر في أساسات الأمّة من جديد. ولم يكن "آخر القضاة" يُشكّلون قدوة أخلاقيّة رفيعة للأمّة (ومثال على ذلك شمشون!). وما أن نصل إلى نهاية سفر القضاة حتّى نُدرك الحاجة لإحداث تغيير ما.

فهل سيسعى الشعب للحصول على هذا التغيير عن طريق الربّ أم أنّهم سيحاولون الوصول إلى حل من صنع أيديهم؟ وللأسف، فقد اختاروا الحل الثاني.

هـ. الحكومة الملكيّة (1051-605 ق.م.)

تتّصف هذه المرحلة من تاريخ إسرائيل، وذلك خلافا للفترة السابقة، بأنّه أصبح لإسرائيل ملك بشريّ. ففي السابق، كان الله هو ملكهم الوحيد، وكان يقيم من بينهم قادة حسب ما تقتضيه الظروف والأحوال. وتنقسم فترة الحُكم الملكي إلى ثلاثة أقسام: فترة المملكة المتّحدة، وفترة المملكة المنقسمة، والفترة التي بقيت فيها يهوذا وحدها. وسوف نقصر بحثنا على المرحلتين الأولى والثانية حيث أنّ التطوّرات التي حدثت في هاتين المرحلتين هي التي استدعت دينونة الربّ عليهم (تدمير عواصمهم وسبيهم من الأرض).

1. المملكة المتّحدة (1051-931)

هذه الفترة تُغطّي تاريخ أوّل ثلاثة ملوك للأمّة. وعقب موت الملك سليمان، انقسمت المملكة إلى مملكتين.

أ. طلب شاول (1صموئيل 8)

كان صموئيل من بين بركات الربّ في وسط الحالة المتردّية التي وصل إليها الشعب (فحتّى تابوت العهد قد استولى عليه الأعداء في إحدى المعارك). وحينما تقدّم به العمر بات جليّا أنّه لن يكون قادرا على القيادة لفترة أطول، وأحسّ الشعب بأنّ الحل لمشاكلهم هو أن يكون لهم ملك بشريّ على غرار الأمم الأخرى (في الحقيقة، الشيء الذي كانوا بحاجة إليه فعليّا هو أن تتغيّر قلوبهم!). وكان هذا موقفا خطيرا حيث أنّ الأمر وصل بهم إلى رفضهم للربّ (1صموئيل 8:4-8).

وقال الربّ لصموئيل: "اسمع لصوت الشعب في كُلّ ما يقولون لك، لأنّهم لم يرفضوك أنت بل إيّاي رفضوا حتّى لا أملك عليهم. حسب كُلّ أعمالهم التي عملوا من يوم أصعدتهم من مصر إلى هذا اليوم، وتركوني وعبدوا آلهة أخرى، هكذا هُم عاملون بك أيضا (الآيتان 7-8).

وأعطاهم الربّ ما يستحقّون – أعطاهم شاول! وحسب ما سيكتشفون لاحقا، فإنّه لم يكُنْ بحسب قلب الربّ. وهذا المشهد الذي يطلبون ويحصلون فيه على ملك بشريّ يعكس استمرار تردي أحوال الأمّة.

ب. العهد الداووديّ (2صموئيل 7)

مع داود، شعرت الأمّة بمعنى أن يكون الملك بحسب قلب الربّ (إلى حدّ ما، فإنّ قدوم الملك داود يسبق قدوم الملك الكامل الذي سيأتي؛ أي يسوع المسيح). وإحدى أهمّ التطوّرات التي جرت في هذه المرحلة من التاريخ هو العهد الذي قطعه الرب مع داود. لقد رأينا سابقاً (تكوين 10:49) بأنّ الرجاء المسيّاني يكمن في سبط يهوذا. وهذا الأمل يزداد قربا بقدوم داود الذي هو من سبط يهوذا. أبرم معه الله عهدا يشتمل على وعد لداود بأنّ واحدا من نسله سيملك إلى الأبد (2صموئيل 7:8-17). وخلافا لنسل شاول (الذي أزاله الرب)، فإنّ نسل داود سيستمر، وكُلّ مَلِك داووديّ سيكون "ابنا" للربّ؛ أيّ أنّه سيكون في علاقة مميّزة مع الرب وسيُعهد إليه بمسئوليّة الحُكم. أمّا الوعد بكرسي المملكة الأبديّ فسوف يتحقّق في ابن داود الأعظم، الرب يسوع المسيح. وهذا المقطع يتحقّق بصورة جزئيّة في خليفة الملك داود المباشر (سليمان)، لكنّ التحقّق الكامل يجب أن ينتظر إلى أن يأتي المسيّا (الرب يسوع المسيح). فعلى سبيل المثال، قطع الرب وعدا بأنّ ابن داود سيبني بيتا للربّ؛ وقد تحقّق هذا الوعد بصورة جزئيّة حينما قام الملك سليمان ببناء الهيكل في أورشليم (966 ق.م.). لكن التحقيق الكامل يتمّ في المسيح الذي يبني هيكلا روحيّا للربّ. وهذا الهيكل الروحيّ يتألّف من المؤمنين اليوم الذين وثقوا في المسيح كمخلّص لهم (1بطرس 2:4-5). وهنالك جوانب أخرى من حُكم الملك سليمان تشير إلى حُكم المسيح أيضا. لقد كان سليمان ملكا يمتاز بالحكمة؛

وكذلك فإنّ يسوع سيحكم بحكمة عظيمة. وكانت مملكة سليمان تتّصف بالسلم؛ وكذلك فإنّ يسوع سيجلب سلاما حينما يأتي ليملك على الأرض. وإلى جانب قيام الرب بقطع هذا العهد الرائع مع داود ووعده بأنّ واحدا من نسله سيملك إلى الأبد، فإنّه ينصّ على أنّ كُلّ ملك داووديّ سيكون مسئولا في فترة حُكمه عن إطاعة وتطبيق الشريعة الموسويّة (2صموئيل 14:7). أمّا إن أخفق في القيام بذلك فسوف يقع عليه تأديب الربّ.

ج. تدشين هيكل سليمان (1ملوك 8)

تحقيقا لوعد الرب لداود، قام سليمان ببناء بيت للربّ. ويرد وصف حفل تدشين الهيكل في 1ملوك 8. وحالما تمّ تقديم الذبائح لتدشين الهيكل، حلّ مجد الرب فيه (الآيتان 10 و 11): "وكان لمّا خرج الكهنة من القدس أنّ السحاب ملأ بيت الربّ، ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب لأنّ مجد الربّ ملأ بيت الربّ".

وقد فعل الربّ الشيء نفسه حينما تمّ تدشين خيمة الاجتماع (خروج 40:34-35). وتصبح أهميّة هذا العمل الإلهيّ واضحة للعيان في سفر حزقيال حينَ سحب الربّ مجده من الهيكل، تمهيدا لسماحه للبابليّين بتدميره (حزقيال 11:22-23). كذلك، فقد انتهز الربّ فرصة تدشين الهيكل لكي يُحذّر سليمان من مغبّة عصيان الرب وما يترتّب عن ذلك من دمار سيحيق بهذا الهيكل الجميل الذي انتهى بناؤه للتوّ (1ملوك 9:1-9). فالطاعة ستؤدّي إلى قيام الربّ بترسيخ عرش الملك، لكن عصيان العهد الموسوي (ولا سيّما عبادة آلهة أخرى) سيؤدّي إلى سبي الشعب من الأرض ودمار الهيكل العظيم الذي بناه سليمان. وقد كان هذا المبدأ امتداداً لمبدأ "البركات واللعنات" الذي سبق وأن أعلنه الربّ في تثنية 28-29.

2. المملكة المنقسمة (931-722 ق.م.)

للأسف الشديد، ثبت بأنّ موهبة الحكمة التي كان يتمتّع بها سليمان أقل قيمة من القلب الكامل غير المنقسم. فزوجات سليمان الكثيرات أملن قلبه وراء آلهتهن الوثنيّة (1ملوك 11:1-8). وكان الميراث الذي تركه سليمان خلفه هو دينونة الربّ على المملكة. وقد أخذت هذه الدينونة شكل تقسيم

المملكة إلى قسمين (1ملوك 11:9-13). ورغم أن الوعد الداوودي بقي قائما في الملوك الذين من سبط داود، إلاّ أنّ غالبيّة المملكة أُخِذت منهم. فهنالك عشرة أسباط في الشمال انقسمت لتشكّل المملكة الشماليّة (التي أصبحت تُدعى "إسرائيل"). وانضمَّ بنيامين إلى سبط يهوذا لتشكيل المملكة الجنوبيّة (التي أصبحت تُدعى "يهوذا")، واستمرت الوعود الداوودّية من خلال المملكة الجنوبية. وكانت كِلا المملكتين ما تزالان مسئولتان عن تطبيق العهد الموسويّ. وعند انقسام المملكة، قام الربّ بتوضيح ذلك ليربعام، وهو أوّل ملك على المملكة الشماليّة (1ملوك 11:34-40).

كان ملوك المملكة الجنوبيّة يعملون بموجب العهد الداووديّ، ورغم أنّه سيتمّ تأديبهم بسبب عصيانهم وعدم طاعتهم، إلاّ أنّ عدم أمانتهم لن تلغي وعود العهد. فالربّ لن يأخذ العرش من الملوك الذين هُم من نسل داود [قد يحرم الأمّة مؤقّتا من وجود ملك عليها، لكنّ حق المَلَكيّة يبقى دائما للنسل الداووديّ]. وعلى النقيض من ذلك، لم يحظ ملوك المملكة الشماليّة بضمان استمرار سلالة ملكية. فعلى سبيل المثال، أكّد الرب لنسل يربعام بأنّهم سيبقون ملوكا طالما أنّهم أمناء للعهد الموسويّ:

"وآخذك فتملك حسب كل ما تشتهي نفسك وتكون ملكا على إسرائيل. فإذا سمعت لكلّ ما أوصيك به وسلكت في طُرقي وفعلت ما هو مستقيم في عينيّ وحفظت فرائضي ووصاياي كما فعل داود عبدي، أكون معك وأبني لك بيتا آمنا كما بنيت لداود وأعطيك إسرائيل" (1ملوك 11:37-38).

لكنّ يربعام لم يكن أمينا، ولهذا فقد أزال الربّ نسله من الحُكم على المملكة الشماليّة. وفي الواقع، فإنّ إسرائيل في الشمال قد عاصرت سلسلة من السلالات الحاكمة عبر تاريخها. ومع ذلك، فإنّ ملوك المملكة الشماليّة يقارنون دوماً بيربعام، في حين أن ملوك المملكة الجنوبيّة يُقارنون دوماً بداود.

في ضوء هذه التوقّعات المرتبطة بالعهد (أي استمرار المملكتين في السير بحسب العهد الموسويّ)، فقد كان الأنبياء يواجهون الشعب دوما بإخفاقهم في السلوك بحسب العهد الموسويّ. كذلك، كانوا يشيرون مرارا وتكرارا إلى اللعنات المذكورة في سفر التثنية لإثبات أن مشكلة الأمّة تتلخّص في عصيانها للربّ. وقد كان بإمكان الأنبياء أن يروا اقتراب السبي. وفي الوقت المقرّر من قبل الربّ، بدأت المملكتان بالتدهور، لكنّ المملكة الجنوبيّة صمدت أكثر من المملكة الشماليّة. وبصورة عامة، تباركت المملكة

الجنوبيّة بملوك كانوا "أحسن حالا" بصورة نسبيّة، وكانت وعود العهد الداوودي (خطّة مملكة الله) مرتبطة بالمملكة الجنوبيّة. ورغم أنّ الشعب كان يعرف بأنّ الأمّة ستُلاقي الدينونة في نهاية المطاف وبأنّها ستتعرّض للسبي، إلاّ أنّهم لم يكونوا يعرفون أيّ جيل هو الذي سيواجه ذلك المصير. أمّا بالنسبة لجيلهم، فقد كان بإمكانه أن يحصل على البركة عن طريق أمانتهم مع الرب. لذلك لم يكونوا مضطرين لأن يكون الجيل الذي سيدان بالسبي.

ولكن خدمة الأنبياء كثيراً ما كانت تنظر إلى ما وراء تأديب ودينونة السبي. ففي ضوء العهد الداودي، كثيراً ما كان الأنبياء يوضّحون علاقة الدينونة الحالية بوعود الله الأسمى المتعلقة بالبركة والملكوت. فمن خلال المسيا الآتي، سيتمّم الله هذه الوعود. وسيكون أساس "البركة" هو عمله الفدائي بحمله للخطية (إشعياء 53)، والذي من منظورنا أمر قد تم في مجيئه الأول. أما وعد "الملكوت"، فمع أنه بدأ في مجيئه الأول، لكن تحقيقه الأساسي هو في المجيء الثاني للمسيح (إشعياء 2؛ دانيال 7؛ زكريا 14).